البحث الخامس

الشيخ أبو الحسن الندوي وقضايا الأمة العربية

الدكتور عبد الحليم عويس (*)

(*) كاتب ومفكر إسلامي ، عضو مجلس الأمناء، وعضو مكتب الرابطة في القاهرة.

ينطلق العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ عبد الحي[(١)] بن السيد فخر الدين الحسني، المعروف بأبي الحسن علي الحسني الندوي (نسبة إلى ندوة العلماء دار العلماء بلكهنؤ).. ينطلق في حبه للعرب، واهتمامه الكبير بقضاياهم من مجموعة من الحقائق الدينية والحضارية والعرقية...

ففي مكة المكرمة ظهر الإسلام، ونزل القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ثم حملت المدينة المنورة الراية، حتى عمَّ نور الإسلام الجزيرة العربية، ثم انطلق الإسلام إلى العالم يحمله العرب - بالدرجة الأولى- فانتشرت أشعته في أرجاء المعمورة.. فمن هنا.. من الأراضي العربية التي قدسها الله تحقق خلاص البشرية، وتم سعد الإنسانية كلها، مقترناً ومرتبطاً ارتباطاً عضوياً بسعد الأمة العربية، ونزل الوحي الأول على محمد العربي القرشي الهاشمي، فوُلِد العالم من جديد، وعاشت الإنسانية من جديد، واكتشف العالم كل ما كان قد فقده وجهله من الحقائق الثابتة، والمعاني الكريمة والأخلاق النبيلة والغايات الرشيدة، والعلم الصحيح والإرادة الخيّرة..

لقد كان للعرب -بدون ريب- دورٌ كبير - بفضل الإسلام- في اكتشاف طاقاتهم وأعماق نفوسهم، فجاهدوا ونجحوا إلى حدٍّ كبير في الارتفاع إلى مستوى الرسالة السامية التي جاءهم بها القرآن الكريم، وبلّغها- بالقول والفعل- محمد رسول الله، فحملوها إلى العالم، وقاتلوا الذين أوصدوا الأبواب في وجهها، وقد آمنوا بأنهم مبتعثون[(٢)] ومكلّفون ومأمورون من الله

---

(١) الشيخ عبد الحي الحسني والد العلامة أبي الحسن الندوي : هو مؤرخ الهند الأكبر ومن كبار العلماء في القرن العشرين، ومؤلف موسوعة تاريخ علماء الهند الكبرى (نزهة الخواطر) التي كتبت بالعربية في ثمانية مجلدات، وتضم نحو خمسة آلاف ترجمة، ومؤلف كتاب (الثقافة الإسلامية في الهند) و(تاريخ كجرات) و (تذكرة شعراء أردو) وغيرها (انظر العلامة السيد عبد الحي الحسني نشر دار الشروق بجدة ط١/١٤٠٢هـ).

(٢) هذا المعنى تكرر كثيراً في فكر الشيخ الندوي، بل نستطيع القول إن شخصية ربعي بن عامر التي رددت هذه المعاني شخصية بارزة في فكر الشيخ الندوي.. انظر على سبيل المثال كتابه (العرب يكتشفون أنفسهم ص١١، ص٢١، وما بينهما طبع المجمع الإسلامي لكهنؤ ١٩٨٠) وانظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والإسلام والحضارة الإنسانية.

بهداية الأمم، وإنقاذ العالم، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام [١].

هذا الدور العربي الذي يرتبط بعربية القرآن الكريم لغةً، وعروبة محمد عليه الصلاة والسلام نسباً، وقيام العرب بالرسالة خير قيام حتى بلغوا بالرسالة إلى تخوم الصين وأعماق الهند، وإلى جبال البرانس في إسبانيا وما بعدها.. يدفع كل مخلص للإسلام إلى حب هؤلاء القوم الذين شرفهم الله واختارهم، فحملوا الرسالة وبلغوا الأمانة.. كما يدفعه إلى استنهاض همم هؤلاء العرب ودعوتهم -بكل طرق الدعوة- إلى أن لا يخونوا الرسالة، ولا يكونوا شر خلف لخير سلف، وأن يدركوا أن مجدهم وشرفهم وتمكينهم في الأرض وحب المسلمين في العالم لهم.. كل ذلك مرتبط بارتباطهم بهذه الرسالة، وحملهم لرايتها، وذودهم عنها، لأنها رسالة لا تقف عند جيل، ولا تنتهي عند حدود مكانية، ولا ترتبط بطائفة عربية أو إسلامية دون طائفة.. بل هي مرتبطة بالعرب المسلمين كلهم بالدرجة الأولى، وبالمسلمين غير العرب بالدرجة الثانية.

ومن تمام هذا المعنى الديني الإسلامي في فكر الشيخ أبي الحسن الندوي، أن (ختم الرسالة) وانقطاع الوحي من السماء إلى الأرض منذ وفاة الرسول ﷺ وكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢] يقضي أن يكون هناك حملة دائمون لراية السماء التي تركها نبي الله خاتم الأنبياء أمانة في عنق أمته، وهذا من لوازمه أن تكون هذه الأمة كلها -إلى يوم القيامة- (أمة دعوة) فكأنها وهي تؤمر بالاقتداء بنبيها والتأسي به -تؤمر- في الوقت نفسه- بالثبات على الدعوة لدين الإسلام.. وارثةً للنبوة!!.

(١) انظر المراجع السابقة (الصفحات نفسها).
(٢) المائدة آية ٣ .

لقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ في الجزيرة العربية، وبعثه بِعثَةً نبي، ولكن بعثته -كما يقول الشيخ الندوي- كانت بعثة مقرونة ببعثة أمة، بخلاف كثير من بعثات الأنبياء..

إنها كانت بعثة ثنائية!!.

وهذا ما لا يفطن له كثير من المتأملين في القرآن الكريم!!

«وإنني -والحديث للشيخ الندوي- في دراسة مقارنات الديانات والكتب السماوية، لا أجد هذا الوصف الدقيق الشامل، وهذا الخط الفاصل بين أمة وأمة، أمة قلدت مسؤولية ليس فوقها مسؤولية إلا مسؤولية النبوة فقط، فكانت بعثة النبي محمد ﷺ بعثة مقرونة مشفوعة مرتبطة ببعثة أمةٍ، هذا هو الشيء الذي أثر في مصير الإنسانية، وكانت تجربة جديدة في تاريخ الديانات، وفي تاريخ مصائر الأمم وفي تاريخ الاتجاهات» (١)، وقد أخذ الشيخ هذا المعنى الطيب.. (معنى ابتعاث الأمة كلها، عربية أولاً، وإسلامية ثانياً) من قوله عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة: «**إنما بعثتم ميسرِين، ولم تبعثوا معسرِين**».. ولم يقل لهم الرسول: (إنما بعثت)، مقصراً الضمير على نفسه.. كما أخذه الشيخ كذلك من قولة ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: (لقد ابتعثنا الله) بهذه النسبة الكريمة الجامعة للابتعاث، وبهذا الضمير الجماعي الإسلامي!! هذا بالإضافة إلى الآيات الكريمة التي يؤخذ منها معنى التكليف الجماعي للأمة: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ (٢) وأيضاً ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ (٣)- فالأمة الإسلامية كلها، والعرب قادتها بالإسلام، مبتعثة إلى يوم القيامة بدين الإسلام، دين كل الأنبياء، بعد انقطاع الوحي وختم النبوة.. لأنه ليس من المعقول ولا من العدل

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية - أبو الحسن علي الندوي - دار القلم ص٢٠- الكويت.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠ .

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣ .

أن يترك الله البشرية بلا وحي سماوي صحيح يضع لها الموازين القسط، ويقدر الله حق قدره، ويرسم طرائق عبادته، وطرائق معاملة الناس بعضهم لبعض وفق ما يرضيه سبحانه وتعالى!! «كانت بعثة هذه الأمة، الفريدة في إيمانها، الفريدة في بساطتها وجديّتها، الفريدة في اتصالها بالأسرة الإنسانية وبتألمها لواقع الإنسانية الذي كانت تعيشه في كل بقعةٍ من بقاع الأرض، كانت تجربة جديدة، كانت هذه البعثة الجماعية، البعثة التي انخرط في سلكها العرب كلهم، فأصبحوا رواداً، وأصبحوا حملة رسالة، وأصبحوا حملة المشعل، فأحدث هذا تحولاً في التاريخ[1]».

إن هذا المعنى المتألق في فكر الشيخ أبي الحسن، والذي نجده مبثوثاً في كثير من مؤلفاته التي تطرق فيها للعرب ودورهم، بينما هو معنى ديني إسلامي، هو كذلك معنى حضاري.. فالإسلام دينٌ وحضارة في نسيج واحد، وهذه الوظيفة السامية التي يربط الشيخ الندوي العرب بها تعد أكبر بواعثه للاهتمام بقضاياهم، فكأنه- وهو يتابع قضاياهم من منظوره الإسلامي- يدفعهم بكل ما يستطيع لكي يعرفوا حقيقتهم ويكتشفوا ذاتهم، ويستأنفوا دورهم، ويقودوا المسلمين المبعثرين في الأرض - أقليّات وأكثريّات- للعودة الرشيدة الفاعلة إلى الإسلام، إنقاذاً لأنفسهم من واقعهم الأسيف، وإنقاذاً للبشرية التي خسرت الكثير جداً بسبب انحطاط المسلمين، هذا الانحطاط الذي كان النتيجة المباشرة لترك العرب لموقعهم القيادي، وانشغالهم بالترف والصراع القبلي والعرقي على السلطان، ولولا استبدال الله بالعرب المارقين أقواماً آخرين مثل الأكراد أبطال حطين، والمماليك أبطال عين جالوت، لكان مصير الحضارة الإسلامية الزوال!! إنه فراغ هائل ذلك الذي تركه العرب، وتركه بالتالي المسلمون، حين تركوا -كأمة - رسالتهم الجماعية الإسلامية التي كلفهم الله بها.. وتخبطوا في عالم الأفكار يلتقطون أيديولوجيات من

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية- أبو الحسن علي الندوي ص٢٢ .

الشرق أو الغرب.. لقد سقطوا -بل انحطوا- كأمة كان من الواجب أن يتخذها الناس مثالاً وقدوة للأمم. الأمم التي لا يمكن أن تتحول عن طريق النماذج الفردية، لأن الأمم لا تحسب للأفراد المبعثرين حساباً، خصوصاً أن بعض الصالحين يوجدون في كل أمة وكل دين..

«وإنما تتطلع الشعوب إلى شعب مثالي، إلى شعب قائد، قائد الإنسانية، شعب يمتاز عن الشعوب الأخرى في متانة العقيدة وقوتها، وفي روح الإيثار والتضحية، وفي البساطة في المعيشة وفي التسامي على الشهوات والأنانيات، لا يستهويهم الشيء الذي يستهوي هذه الشعوب رغم سيادتها وقيادتها، ورغم تقدمها في الثقافات وفي الفلسفات وفي العلوم»[1].

-إن جريمة العرب في حق الإسلام- حين يتخلون عن رسالته- جريمة جماعيّة، ذلك لأن بعثتهم بعثة جماعية، هكذا كانوا منذ نزل القرآن يطلب منهم أن يحافظوا على شروط (خير أمة).. وحتى اليوم فما زال العرب، ومن خلفهم المسلمون، مدعوون للعودة إلى رسالتهم العامة وابتعاثهم الجماعي لملء الفراغ العالمي الكبير...

وبتحديد دقيق، وانطلاقاً من حبه الكبير للعرب، ومن وعيه بحقيقة مكانتهم، يتوجه الشيخ الندوي بخطابه إلى العرب مشيراً إلى الفراغ العالمي ودور العرب في ملئه قائلاً في محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات العربية المتحدة: «إن هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني، ولا يملأ هذا الفراغ إلا المسلم، ولا تملأ هذا الفراغ إلا الأمة العربية الإسلامية.. لقد كانت رائدة للإنسانية في القرن السابع وما بعده من القرون، ولا تزال رائدة للرسالة الإسلامة الإنسانية في هذا القرن، لو عرفت قيمتها، ولو عرفت منابع قوتها، ولو عرفت ضخامة رسالتها، ولو عرفت عظم

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية -أبو الحسن الندوي - دار القلم ص ٢٣.

مسؤوليتها، فمتى تنهض الأمة العربية الإسلامية وتحمل الرسالة من جديد والنور الوحيد وهو نور الإسلام، وهو النور الذي لا يزال عند العرب في صفحات القرآن وفي صفحات السيرة النبوية، وإننا أبناء القارة الهندية، ننظر إلى هذه الجزيرة كأمة رائدة وكحاملة لهذه الرسالة» (١).

وبالإضافة إلى هذا الباعث الإسلامي الحضاري ثمة باعث نفسي وعضوي آخر يدفع الشيخ الندوي للاهتمام الدؤوب بالقضايا العربية.

- فالشيخ أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بعبد الحي بن السيد فخر الدين الحسني، ينحدر من سلسلة النسب الكريم الذي ينتهي إلى أمير المؤمنين الراشدي الرابع، عن طريق السيد محمد الثاني بن أبي محمد عبد الله الأشقر بن السيد محمد صاحب النفس الزكية، بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢). وفي محيط مثل المحيط الهندي بطوائفه الهندوسية واللادينية، وتموجاته العرقية والفكرية، يقف (الوعي بالذات) و(الحفاظ على الهوية الروحية والحضارية) دافعاً قوياً للتمسك بالجذور، فكيف إذا كانت الجذور سامية تحمل معها رسالة حضارية شامخة، وليست مجرد نزعة عنصرية أو عرقية يراد من التشبث بها تحقيق استعلاء عنصري، أو مكانة اجتماعية، أو امتيازات طبقية أو عرقية.

إن الانتماء الشريف إلى آل البيت لم يكن هذا - فقط - في وعي الأسرة الحسينية الندوية، بل كان نسيجاً آخر مختلفاً كل الاختلاف.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧ .

(٢) ورد نسبه كاملاً في سيرة السيد أحمد الشهيد عرفان الدين بتاليف الشيخ أبي الحسن الندوي نفسه منقولاً من كتب الأنساب والوثائق التاريخية المحفوظة في مكتبات الأسرة الحسنية، كما ورد في كتاب : الدكتور السيد قدرة الله الحسيني عن : (العلامة السيد عبد الحي الحسني، ص ٧٤ ، ٧٥ نشر دار الشروق بجدة ط١ / ١٤٠٣).

- لقد كان هذا النسب الكريم الذي يملأ الشعور به كيان أفراد الأسرة سبيلاً للحفاظ على الخصائص العربية والإسلامية، وانتقالها من بطن إلى بطن عبر القرون.

- وقد كان أفراد الأسرة يشعرون بأنهم- كما يذكر الدكتور السيد قدرة الله الحسيني [١]- حماة للعقيدة الإسلامية الصحيحة بالتزام التوحيد الخالص، ونبذ العقائد الشركية وما أكثرها في محيط المجتمع الهندي!!

- وكانوا يشعرون بأن عليهم أن يعتنوا عناية زائدة بالعلوم الدينية دراسة وتعليماً ونشراً..

- وبأنهم يجب أن يكونوا السباقين في مجال الغيرة على الإسلام والحماس في الدفاع عنه، والقيام بتحركات عسكرية وحركات جهادية إذا اقتضى الأمر ذلك.

وكانوا يجاهدون في سبيل أن يكون في الأسرة علماء ربانيون مُتَّبعون لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة، فلم تخْلُ فترة من فترات هذه الأسرة من وجود علماء ربانيين وشيوخ مربين.

- وكان من خصائص الأسرة-أيضاً- الابتعاد عن مناصب الحكومة والوظائف الرسمية ما أمكن، والقناعة بالميسور..

- ومنها البعد عن استخدام الذكاء في تحقيق المآرب الدنيوية، فيغلب على أفراد هذه الأسرة - في غالب الأحوال- الوداعة، وما عبر عنه لسان النبوة (الغر الكريم).

- وهكذا أصبح هذا الشعور العرقي شعوراً بناء إيجابياً مسؤولاً، بل طريقاً لمزيد من المزج بين الإسلام والعرب في مركب واحد، وأصبح شعوراً

---

(١) انظر العلامة السيد عبد الحي الحسني : ص ٧٦.

مرتبطاً بالمسؤولية تجاه الإسلام والعروبة المؤمنة، وبالتالي فقد تجرد من كل أوزار السلبيات العرقية العنصرية، بل إنه -في تصوري- قد حل لنا- من خلال تجربة نموذجية تعيش في بلاد الهند- معادلة العلاقة بين العرب والإسلام، وما يجب أن يكون عليه الفكر القومي العربي الذي يجب أن يمتزج بالإسلام امتزاجاً كاملاً، وأن يدرك أنه بغير هذا الامتزاج يصبح العرق العربي جسماً خاملاً ميتاً فاقداً للروح والعقل ومؤهلات الحياة..!!

- وبإيجاز، فإنه بتأثير هذين المؤثرين العظيمين: المؤثر الديني والحضاري، والمؤثر العرقي والنفسي، كان الشيخ أبو الحسن الندوي مرتبطاً كل الارتباط بقضايا الأمة العربية، يعيش معها، ويعالجها، ويخطب فيها، ويكتب من أجلها، أكثر مما يتفاعل معها آلاف من هؤلاء المثقفين الذين ولدوا في بلاد عربية، ويحملون جنسيات عربية، ويعيشون في أرض العروبة..

- والأهم من ذلك أنه كان يتفاعل معها برؤية إسلامية نقية، محافظاً على وعي إسلامي وحضاري كبير لم يتحقق لكثير من العرب، وعلى وضوح في التحليل، وصراحة في قول الحق لم تتوافر لأكثر المتحدثين من العرب، عن قضايا العرب!!

- ومنذ برز اسم الشيخ أبي الحسن الندوي في الثلاثينات من القرن العشرين، وجهوده لم تتوقف أينما حل عن الصدع بالحق، حتى في عناوين الكتب والمحاضرات التي يوجهها للعرب.. كانت هذه الصراحة واضحة.. وحسبنا من عناوين هذه الكتب والمحاضرات أن نقدم العناوين التالية:

١. اسمعي يا مصر.

٢. اسمعي يا سورية.

٣. المأساة الأخيرة في العالم العربي.

٤. اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت).

٥. اسمعوها مني صريحة أيها العرب.

٦. الخطر الأكبر على العالم العربي (عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي).

٧. كيف يستعيد العرب مكانتهم؟

وبالإضافة إلى هذه الصراحة الواضحة في عناوين الكتب، وحتى لا يظن أن هذه العناوين إنما اختيرت لعوامل تشويقية أو فنية إعلامية - نسوق بعض ما قاله الشيخ الندوي محدداً فيه معالم منهجه هذا دون مواربة، مبيناً أسبابه ومبرراته، مقتطفين بعض ما كتبه عن هذا المنهج في صدر كتابه: (اسمعوها مني صريحة أيها العرب).. يقول: «لو كانت أمة على وجه الأرض تستحق مني أكبر تقدير وأعظم إعجاب وإكبار، لكان العرب من غير نزاع..

ولو كانت نفسي تدفعني إلى المجاملة مع أمة من الأمم وتزينها لي كانت أمتي العربية العظيمة.

ولكني أعتبر هذه المجاملة في هذه المناسبة جريمة خلقية، وأعتبرها خيانةً عظيمة في حق هذه الأمة التي أدين لها في الدين والأخلاق والإنسانية والشرف، ويدين لها العالم والإنسانية في حياتها الجديدة وفي عقيدتها وخلقها، وليست أمة أحق بالأمانة وأحق بالصراحة وأحق بالنصح من هذه الأمة..

إن عقيدتي وديني الذي أؤمن به وأدين، يفرض عليّ أن أكون صادقاً وصريحاً، وصلتي بهذه الأمة - الدينية والنسبية والثقافية - تلزمني بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة، ثم اقتناعي بأن العرب هم الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام قد كتب لهم الوصاية على العالم ما داموا يدينون بهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وعلمي بأن هذه الوصاية لم تحول عنهم بعد، ولم تبرز أمة على منصة العالم تخلف هذه الأمة وتضطلع بالإمامة.

والذي يطمعني في هذه الكلمة ويغريني بها هو حبي وحرصي على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية، ويتسلموا هذه القيادة المباركة التي يقول الله عن حملتها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(١) وأن يتحولوا عن المعسكر الذي يقول الله عن قادته وزعمائه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾(٢) بل يثوروا عليه ويعارضوه ويحاربوه وينادوا بأعلى صوتهم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٣)، نادى بها جدهم إبراهيم في عصره: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٤)».

فبهذا المنهج الكريم، ومن أجل الغاية السامية المنوطة بالعرب منذ جاء الإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن خلال عدد كبير من الكتب والرسائل والمحاضرات، وانطلاقاً من عقيدة إيمانية، ورؤية حضارية، وانتماء عرقيّ ونفسيّ. من خلال هذا كله.. عالج الشيخ أبو الحسن الندوي قضايا الأمة العربية، معالجة الحكيم والوالد الرحيم والمربي الصادق العليم.

الشيخ الندوي وعودة العرب لقيادة سفينة الإنسانية:

احتلَّ اهتمام الشيخ أبي الحسن الندوي بشخصية النبي محمد ﷺ وبالجيل العظيم الذي صنعه الرسول عليه السلام من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وجلهم من العرب، مساحةً كبيرةً من فكره!!.

ومن خلال الطرق الفنية غير المباشرة أحياناً وبوسائل صريحة مباشرة في أحيان أخرى، كان الشيخ أبو الحسن، يشير إلى أنه لا يكتب التاريخ مجرداً، ولا يكتبه لكي يقدم دراسة تاريخية جامدة، كما أنه لا يكتب عن سيرة

---

(١) السجدة : ٢٤ . (٢) القصص: ٤١ .
(٣) الممتحنة: ٤ . (٤) أبو الحسن الندوي -اسمعوها مني صريحة أيها العرب ص (٣-٤-٥-٧).

الرسـول ﷺ لمجـرد البـواعـث العلمـيـة والـتـاريـخـيـة، وكـذلـك هـو لا يقـدم تـاريـخ الصحابة لغاية ثقافية ومعرفية... بل إنه إنما يكتب في ذلك كله لغايات تربوية وتعليمية، ولكي يستوعب العرب القيمة الحقيقية للإسلام، ويربطوا بالتالي ماضيهم الإسلامي العظيم بحاضرهم، ولتقود إليهم ذاكرتهم الفاعلة ووعيهم الحضاري، وليدركوا إمكانات الإقلاع الحضاري وقواعد الانطلاق الصحيح.

إن على هؤلاء العرب - كما يؤكد الشيخ الندوي - أن يدركوا أنهم بدون محمد عليه الصلاة والسلام، والقرآن الكريم، ما كان بإمكانهم أن يصنعوا هذا التحول الخطير في التاريخ!!.

وفي كثير من المواضيع كان الشيخ الندوي ينقل للعرب كلمات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، وغيرها من تلك الكلمات التي تصف وضع العرب قبل الإسلام، وذلك لكي يدرك العرب عظم التحول الذي أحدثه الإسلام فيهم..

ولئن كان بعض المثقفين والمفكرين العرب من أصحاب الثقافة الضحلة أو الوافدة أو المغلوطة، ما زالوا يتحدثون عن علاقة العرب بالإسلام بطريقة مشوهة، غير مدركين للتحولات الكبرى التي صنعها الإسلام في تاريخ الحضارات..فضلاً عن مسيرتهم هم أنفسهم.. فإن الشيخ أبا الحسن- كان على العكس من ذلك.

- لقد كان مدركاً تمام الإدراك للأثر العظيم الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب، ولعظمة ما أعطاه العرب والمسلمون الأول -بالإسلام- للتاريخ البشري..

- وفي مواضع كثيرة من كتبه ورسائله يُفَصِّلُ الشيخ الندوي ما أعطاه الرسول ﷺ - كمثل أعلى للتاريخ والإنسانية والحياة من حلول للألغاز الكبرى،

ومن إبراز لقِيَم الخير المطلقة، وإحياء للحقائق العليا والموازين القويمة التي تاهت عنها البشرية..

لقد كانت أول مآثره ﷺ أنه أغمد ذلك السيف المصلت على رقبة الجيل البشري التي كانت كل لحظة تنذر بفنائه وانقراضه، ووهبه الرسول ﷺ هدايا غالية وتحفاً ثمينة أعادت إليه حياةً جديدة، وشحنته بهمة عالية وقوة فتية وعزة كريمة، ومنحته هدفاً عالياً جديداً لرحلته الشاقة الطويلة، وبدأ بعهده الميمون السعيد دورٌ جديد للإنسانية والحضارة والمدنية والعلوم والفنون والإخلاص والروحانية وبناء الإنسان من جديد..

- إنه قَدَّمَ للمجتمع البشري ثروةً عظيمةً تعتمد عليها الإنسانية لخيرها ورشدها وبركتها وتستفيد منها المدنية لازدهارها ورقيها[1].

- وفي شمول وإيجاز رائعين يلخص الشيخ الندوي (القيم العليا) و(المبادئ) المطلقة التي أعطاها الإسلام للتاريخ والحضارة البشرية والتطور الإنساني، ونشرها العرب الأسلاف - بفكرهم وسلوكهم وجهادهم بين الناس- في مبادئ عشرة، يصح أن تسمى (الإعلان الإسلامي العالمي للرقي البشري والوحدة الإنسانية).. وهذه القيم والمبادئ المطلقة هي:

١. عقيدة التوحيد النقية.

٢. مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية.

٣. إعلان كرامة الإنسان وسموه.

٤. رد الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها.

٥. محاربة اليأس والتشاؤم وبعث الأمل والرجاء والثقة.

٦. الجمع بين الدين والدنيا.

---

(١) أبو الحسن الندوي، محمد الرسول الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم، ص ١٧، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

٧. إيجاد الرباط المقدس الدائم بين الدين والعلم.

٨. استخدام العقل والانتفاع به حتى في القضايا الدينية والحثّ على النظر في الأنفس والآفاق.

٩. حمل الأمة الإسلامية-والعرب طليعتها- على قبول مسؤولية الوصاية على العالم والحسبة على الأخلاق والاتجاهات.

١٠. الوحدة العقائدية الحضارية العالمية[1] (في إطار الإيمان بالتنوع والحوار المنهجي بين الأفكار، وضمان حرية العقيدة).

- ويرى الشيخ الندوي أن التقاء البشرية ممثلة في صفوتها المفكرة وعقولها المبدعة-على هذه المبادئ العشرة- ضرورة لاستمرار الإنسانية، ولتهذيب عوامل الصراع بين فروع الجنس البشري ولتحقيق نوع من التفاعل البنّاء بينها..

يقول الشيخ: إن قوام هذا العالم المتحضر وبقاءه، وقيمة الحضارة والتاريخ والأخلاق والأدب والشعر والفن، ليست إلا في الاعتراف بالحقائق الثابتة، والتسليم للواقع، وإظهاره والتعبير عنه، وتقدير الفضل والكمال والإشادة بهما، وشكر المحسنين وأصحاب الفضل والعطاء والاعتراف بمنتهم... وحين يتجرد هذا العالم من الآداب والأخلاق فلا لذة في العيش في هذا العالم ولا كرامة، وتتحول الدنيا إلى حظيرة للوحوش والأنعام السائمة، حيث لايبقى من الدوافع والقوى المحركة إلا شهوة ملء البطون، وقضاء المآرب الجنسية، والأهواء والنزعات الحيوانية، ولا تبقى أية صلة بين الأستاذ والتلميذ، والمعطي والآخذ، والمريض والطبيب حتى بين الأبناء والآباء والأمهات، ولا يبقى أي شعور بالفارق بين النّاهب والحارس، والخائن والأمين [2].

---

(١) أبو الحسن الندوي - محمد الرسول الأعظم - صاحب المنة الكبرى على العالم ص ١٩-٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠-٢١ وانظر: الإسلام والحضارة الإنسانية ص ٦٨-٦٩ .

هذا النبي الكريم والأسوة العليا والنموذج الأسمى للبشرية... وهذا الجيل العربي العظيم الذي فتح الدنيا -بالإسلام- وحوّل مجرى التاريخ البشري، وأدار قيادة السفينة الإنسانية إلى الشاطئ الرباني الإنساني اللائق بإنسانية الإنسان.. وهذه المبادئ والقيم الإنسانية المطلقة التي تحقق للبشرية الصعود الدائم، وتحل لها ألغاز التقدم والسلّم العالمي..

وهذه التجربة التاريخية التي تجمّع فيها كل ذلك، ورآها الناس وسجّلها التاريخ، وشهد لها الأعداء المنصفون.. وكتب فيها الشيخ الندوي -كذلك- صفحات كثيرة، يبرز فيها التلاحم بين التزام العرب بالإسلام، وإبداعهم في المجالات العسكرية والسياسية والأخلاقية والمعرفية، بكل ما تحويه كلمة المعرفة من فروع علمية دينية ودنيوية..

- فلقد كان إبداعهم في المجال العلمي ثمرة فقههم بالإسلام، وسيرهم في الأرض بتوجيه القرآن الذي يأمر باكتشاف الأنفس والآفاق.

- وهكذا فعندما يتحدث الشيخ الندوي عن أمجاد العرب العلمية إنما يتحدث عنها كنفحة من نفحات النبوة المحمدية والنبي الأمي، وذلك لتذكير العرب بهذا المجد حتى يعرفوا معالم الطريق المحدد لهم للإقلاع الحضاري - فلا طريق لهم إلا طريق محمد والإسلام، فإن الحماس العلمي العربي، إنما انبثق من النبوة المحمدية ومن تعاليمها، وبتوجيه الإسلام انطلقت حركة علمية عالمية خالدة مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية، ومساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية، ومساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين... ويؤكد الشيخ الندوي أقواله في هذا السياق بشهادة للباحث الغربي والمؤرخ الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون الذي يقول في كتابه المشهور (حضارة العرب): «والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، فالعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همّهم إلى إنشاء مسجد

وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة، ومنها المدارس العشرون التي روى (بنيامين التطبلي) المتوفى (١١٧٣م) أنه شاهدها في الإسكندرية، وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة... إلخ على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل ما يساعد على البحث العلمي... وكان للعرب في إسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة... وكان في مكتبة الخليفة الحكم المستنصر (ت٣٦٦ هـ) بقرطبة ست مئة ألف كتاب منها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس، كما روى مؤرخو العرب، وقد قيل بسبب ذلك: إن شارل الحاكم، لم يستطع بعد أربع مئة سنة أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسع مئة مجلد، ويكاد ثلثها يكون خالصاً بعلم اللاهوت [(١)].

- إن هذه التجربة النبوية الكريمة، وهذا الجيل الذي رباه محمد عليه السلام وفتح به العالم... وهذه المبادئ والقيم المطلقة التي جاء بها الإسلام وكلف العرب بأن يكونوا طليعة إبلاغها... هذا كله يلزم العرب المعاصرين - أمام الله ثم أمام التاريخ والإنسانية أن يتقدموا لاستئناف حمل راية الحضارة الإنسانية، فهم مصطفون إلى يوم القيامة لهذه الغاية، ولا سبيل إلى سعادتهم أو رفعتهم بغير هذا الطريق، ومهما جربوا من طرق أخرى فلن يتحقق لهم شيء إلا إذا مزجوا الإسلام بعقولهم وقلوبهم، وجعلوه الروح والدم والقلب لكل حركاتهم وأجسامهم!!...

ولئن كانت أجناس أخرى قد سيطرت على العالم عن طريق الغزو والغلب، أو عن طريق الإسلام وحده، فلم يغرس الله حبهم في النفوس والقلوب، ولم تنتشر لغتهم هذا الانتشار الواسع ولم يكتب لها الخلود والبقاء،

(١) حضارة العرب ص٣٤٢ تأليف غوستاف لوبون - ترجمة الأستاذ عادل زعيتر - (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه في مصر) نقلاً عن أبي الحسن الندوي (جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية ص١٣ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة (وهناك روايات تاريخية بأن مكتبة الحكم المستنصر كان فيها أربعمائة مجلد -المؤلف).

ولـم تُدوّن بهـا العـلوم الكثـيـرة.. لـم يتـحـقق كل ذلك إلا بفـضل القـرآن والشريعة الإسلامية...

وليس أمام العرب، كي يدخلوا التاريخ، ويقودوا سفينة الإنسانية إلا عن طريق «الرسالة والهداية والرحمة للإنسانية، والخدمة المخلصة المجردة من الأغراض، وكما كان أمرهم مع الحضارة والتاريخ في الماضي، فإنهم -كذلك- لن يدخلوا التاريخ مرة أخرى إلا من هذا المدخل الذي دخلوا منه أول مرة» (١).

موقف العرب من المدنية الأوربية (المادية) في فكر الشيخ الندوي:

كان موقف العرب خلال القرنين الأخيرين من الحضارة الأوربية بشقيها المادي الشيوعي والمادي العلماني مناط اهتمام الشيخ أبي الحسن، فكراً، وحديثاً، وجهاداً، ودعوة...

– وكان يؤلمه أن هؤلاء العرب الذين حكمت قيمهم وعلومهم الدنيا عشرة قرون، ينسحقون هذا الانسحاق الشنيع، ويركعون هذا الركوع الذليل المخجل -حكاماً ومثقفين- أمام هذه المدنية الأوروبية التي يسميها الشيخ (بالمسيح الدجّال) غير مستوعبين لحقيقة القيم التي يملكونها، والرسالة العالمية الربانية التي نيطت بهم، وغير مستفيدين من إحدى التجارب التي تجاورهم ويشاهدونها، وتعتبر – على الرغم من باطلها وسلبياتها – من أقوى أدلة الصمود العقائدي، وهي تجربة اليهود الذين أقاموا دولة يهودية صريحة الانتماء، وناضلوا آلاف السنين دفاعاً عن هذه العقيدة الباطلة، وحكموا كل طاقات العصر لخدمة عقيدتهم وشعبهم.. فكيف يسقط العرب هكذا لمجرد هذا الخلل الطارئ في مسيرتهم التاريخية؟.

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي: كيف دخل العرب التاريخ: ص١٥، ٢٦ نشر المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ ١٩٨٠ .

- وكيف يقبلون- بل يكرِّمون أحياناً- من يدعوهم لخيانة الإسلام كله، والرضا بالذوبان في الحضارة الأوروبية، معتقداً وفكراً وسلوكاً وأخلاقاً..؟؟

- لقد أحزن هذا السقوط الشيخ الندوي كل الحزن، لكنه لم ييأس، ولم يستسلم، بل جرد فكره وقلمه، وقدَّم دراسات كثيرة يفضح فيها هذه الحضارة المادية الأوروبية، ويقارن بينها وبين الحضارة الإسلامية، ويتتبع نواحي السقوط في الحياة العربية، وأبطال هذا السقوط من حكام ومفكرين شيوعيين وعلمانيين وماديين وقوميين ومسيحيين...

وهو في كل ذلك يقدم الأدلة الناصعة، والحجة المستقاة من ماضي المسلمين، ومن حاضر الأوروبيين، ومن نتائج الذوبان والتبعية في المجالات السياسية والعسكرية والحضارية... وهي نتائج مُرَّة، وهو حصاد أليم... أضاع على العرب والمسلمين ثروات هائلة وسنوات طويلة، وجلب إليهم هزائم مخزية، وجعل بأسهم شديداً بينهم، وجعل رحمتهم تتجه كلها إلى أعداء دينهم وأوطانهم، بينما تكاد شدتهم تنحصر في إخوانهم الذين يحكمونهم، أو مع إخوانهم الذين يجاورونهم، فيما يسمى بالخلافات على الحدود والسيادة الوطنية!!.

وكان كتاب الشيخ الندوي: (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) من أشمل وأعمق ما قدمه الفكر الإسلامي في فضح الفكرة الغربية، وفي تتبع نواحي سقوط العرب- حكاماً ومثقفين - في حبالها...

- ومع أن الكتاب لم يكن محصوراً في الدائرة العربية، بل كان شاملاً لآفاق الصراع على امتداد العالم الإسلامي، إلا أن العالم العربي الذي لا يزيد سكانه عن سدس المسلمين قد أخذ حيِّزاً من الكتاب يزيد -في مساحته- عن نصف الكتاب، إذ ما استثنينا المساحة التي تتحدث عن قضايا فكرية وتغريبية عامة، سواء في مجال تشخيص المرض، أم في مجال تأصيل علاجه من منظور إسلامي حضاري.

- وهذه المساحة - في حدٍّ ذاتها- دليلٌ قوي على ما يوليه الشيخ الندوي لقضايا العالم العربي في فكره، وحسبنا أن رصده للصراع في شبه القارة الهندية - بمفهومها الشامل - لا يزيد عن ثلث ما كتب عن العرب، مع أن عدد المسلمين الهنود يبلغ ضعف عدد العرب، ومع أن الشيخ الندوي يعيش في الهند، ويعاني مشكلاتها، ويجاهد في أرضها، هو وأسرته من قرون متطاولة بعد هجرة الأسرة من البلاد العربية.

- لكنه الإدراك العميق من الشيخ بأهمية الدور القيادي للعرب، وبمدى تأثيرهم العالمي - إذا عادوا للتمسك بالإسلام حكاماً ومحكومين!!.

- كانت مصر في طليعة البلاد العربية التي رصد الشيخ الندوي الصراع بين الإسلام والتغريب فيها..

وقد تتبع الشيخ رحلة التغريب في مصر منذ محمد علي باشا ورفاعة الطهطاوي، والخديوي إسماعيل، وحفر قناة السويس التي وصلت الشرق بالغرب لصالح الغرب!!

ولم يفت الشيخ أن يلمع هنا إلماعة رائعة تدل على إدراكه العميق بمسؤولية مصر ومكانتها، حين دعا مصر إلى أن تحفر قناةً جديدة: «أفضل من قناة السويس ألف مرة، وأعود منها على الشعوب الإنسانية بالخير والسعادة، وأعمق منها تأثيراً في اتجاه العالم ومصير الشعوب والأمم، وأوسع تأثيراً في التاريخ الإنساني، هي قناة التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق والغرب، قناة تصل الشرق المتخلِّف في العلوم الطبيعية والصناعات المفيدة بالغرب الذي قد بلغ الذروة فيها، وتصل الغرب الحائر المتخم بقوته المادية، والمفلس في الروح والأخلاق، واليائس المتشائم، السالك في سبيل الانتحار، بمنابع الرضا والهدوء والأمن العاطفي، والثقة المتبادلة، والأمل القوي في مستقبل الإنسان، الكامنة في رسالات الشرق الدينية والروحية التي يمثلها الإسلام في شكلها الكامل النهائي، وتصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة

المكدسة التي لا تعرف غاية، بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التي لا تملك وسيلة، تصل الغرب الذي يستطيع ولا يريد، بالشرق الذي يريد ولا يستطيع، فيفيض كل واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ويتعاونان -تعاون الشقيقين- في إسعاد البشرية، وتهذيب المدنية، هذه القناة الثقافية العقلية التي تعتبر -لو تحققت وظهرت إلى الوجود- كانت فتحاً جديداً في العالم، ومأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرق في التاريخ الحديث، وتكسب لمصر الزعامة الخالدة، وأشرف مركز تطمح إليه القلوب والأبصار»[١].

لكن مصر -كما هو معروف في التاريخ وكما رصد الشيخ الندوي- تميزت بموقف ضعيف تقليدي، على الرغم من محاولات جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وحسن البنا، فقد استطاع تلامذة أوروبا المتخرجون من مدارسها في أوربا أو في مصر أن يعكروا صفو الوصول إلى صيغة حضارية صحيحة للنهضة، وأججوا الصراع مع الأزهر، ومع دعاة الحل الحضاري الصحيح الذي يقوم على (التحديث) في ظل الإسلام -كما فعل اليهود واليابانيون وغيرهم- بدلاً من (التغريب) القائم على الذوبان والتبعية والإلحاد والانحلال...

- وكان (قاسم أمين)[٢] و(طه حسين)[٣] من طلائع الانهزامية والتبعية والجرأة على الإسلام بدعوى التقدم والحرية الفكرية، كما كان لثورة يوليو ١٩٥٢م[٤] دور كبير في فرض المفهوم المادي الشيوعي والتغريبي ومحاربة الإسلام بصفة عامة، تحت أسماء مختلفة.

- وكانت نكبة ١٩٦٧م نهاية طبيعية ومأساوية لنظام عسكري دكتاتوري مادي مقطوع الوشائج بالإسلام، محارب له في كل مجال.

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية -أبو الحسن الندوي ص٩١-٩٢ دار القلم - الكويت.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ١٠٠.

(٣) المرجع السابق ١٠٦.

(٤) المرجع السابق ص ١١١ .

- وقد دفع الشعب كله ثمن استسلامه لهذا النظام وأيديولوجيته والمنتفعين به!!

كما تتبع الشيخ الندوي المد التغريبي العلماني المادي الذي سيطر على عدد من الدول العربية، وكل ذلك كان له أثره في نكبة عام ١٩٦٧م.

- وقد رزئت (تونس) بالرئيس (الحبيب بورقيبة) الذي حكمها بعد استقلالها سنة ١٩٥٧م لنحو ربع قرن، وكان من أكثر الحكام صراحة في التجرؤ على القرآن الذي لم يقرأه، وفي الانتقاص من الإسلام الذي لم يعرفه، والذي لم يكلف نفسه مشقة التعرف عليه، بينما كان يستجيب لأقوال المنصِّرين والمستشرقين وتلامذة الكنيسة الفرنسية، كما يستجيب التلميذ لأستاذه والابن لأبيه، دون إعمال فكر..

وقد اتضح من تصرفات بورقيبة وبياناته كما يذكر أستاذنا الشيخ الندوي - أن الرئيس بورقيبة «الذي رمى القرآن بالتناقض، والرسول بالبداوة، والمسلمين بالوثنية وعبادة محمد عليه السلام» كان يعاني من مركب النقص والتبعية الفكرية، حيث لم يدرس أي علم من العلوم الإسلامية، في الوقت الذي لم يستطع فيه أن يفهم كلياً الاعتراضات والشكوك التي أثارها الناقدون، وتدل الأفكار التي أعرب عنها الرئيس بورقيبة حول حياة النبي ﷺ، والعقائد الإسلامية، وطرق العبادة، على أنه لا يختلف مع المبادئ الأساسية للإسلام والشريعة فحسب، بل إنه يريد أيضاً أن يقود مسلمي تونس إلى نفس الجهة ويثير شكوكاً وريباً في قلوبهم»(١).

ولئن كان الرئيس بورقيبة قد تخصص لربع قرن في الهجوم على القرآن، فإن العقيد معمر القذافي الذي قاد انقلاباً عسكرياً ضد الحركة السنوسية الجهادية الإصلاحية في ليبيا قد تخصص في الهجوم على السنة،

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية - أبو الحسن الندوي ص ٧٨- دار القلم - الكويت.

مع أنه بدأ حكمه بمحاولة خداع الأمة عن طريق بعض الإجراءات التي نظر الجميع إليها على أنها لصالح الإسلام والعروبة، لكنها كانت محاولة لتثبيت الأقدام، وخداع الجماهير المسلمة، فلم تكد تمر سنوات قليلة استطاع فيها إحكام دكتاتوريته العسكرية على الشعب الليبي المسكين، حتى كشف عن مهمته وبدأ يقوم ببعض حركات ساذجة لا تدل على اتزان في الفكر، داعياً الناس إلى قبول الأحاديث النبوية -إذا كان لا بد من قبولها- في دائرة العبادات فقط، أما الأحاديث الأخرى التي تتناول مختلف مجالات الحياة الإنسانية فلا يمكن -عنده- تطبيقها على الحياة المعاصرة، وكما يقول أستاذنا الشيخ الندوي، فإن القذافي إنما يريد من ذلك حصر الإسلام في العبادات المحدودة ليقطع صلة الإسلام المستمرة بالحياة على غرار النصرانية.

وقد ذهب الرجل متمادياً في طريقه فزعم -وكأنه مجتهد إسلامي كبير- وجود تعارض في الأحاديث النبوية، وكان رائداً للعلمانيين عندما زعم أن جُلَّ أقوال الرسول عليه السلام إنما هي وحي لبيئته وعصره، وقد تغيرت الأوضاع والظروف، فلا سبيل إلى تطبيقها في الأمور الدنيوية في هذا العصر، وهذا هو معنى (أنتم أعلم بأمور دنياكم) عنده، وهو فقه يلتقي مع الفقه الشيوعي الذي يحصر الإسلام في عصر النبوة والراشدين، ويزعم بعدم صلاحيته لكل زمان ومكان.

وتغطية لتبديد ثروة شعبه المسكين وفشله في المجالات السياسية زاد الطين بلة وشغل المسلمين (بالكتاب الأخضر) الذي يدل على خلل في الرؤية، وإنكار التقويم الهجري الإسلامي، ودعوى أن التقويم يجب أن يبدأ بوفاة الرسول، لأنه كما يقول أكبر أحداث التاريخ الإسلامي مع أنه ينكر سنة هذا الرسول.

وهكذا عرض الشيخ الندوي -أكرمه الله- لهذه التيارات التغريبية التي انتظمت الجزائر والمغرب وغيرهما مبيناً التخصص الدقيق لكل حاكم مسلم في الإجهاز على الإسلام من زاويته، ومن ثم قدم الشيخ الندوي نماذج رائعة

في الوقوف ضد هذه الغارة التغريبية، كان من أبرزها وأعظمها النموذج الذي قدمه الشاعر العظيم محمد إقبال الذي كان يقول في الحضارة الغربية «إن شعار هذه الحضارة الغارة على الإنسانية والفتك بأفراد النوع البشري، وإن شغلها الدائم التجارة، إن العالم لا يسعد بالسلام والهدوء وبالحب البريء النزيه والإخلاص لله إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة» (١).

وهو يناشد الإنسان المسلم أن يلتفت إلى حقيقة النعومة والفتنة في هذه الحضارة الداعرة فيقول له: «إياك والحضارة اللادينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق، إن هذه الفتانة تجلب فتناً، وتعيد اللات والعزى إلى الحرم، إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح تموت عطشاً في سرابها، إنها تقضي على لوعة القلب، بل تنزع القلب من القالب، إنها لص قد تمرن على اللصوصية فيُغير نهاراً وجهاراً، وإنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له.

إنها حضارة شابة -بحداثة سنها، والحيوية الكامنة فيها- ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت، وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها»(٢).

وفي غير موضع من كتبه يشخص الشيخ الندوي أسباب نجاح محاولات تغريب المسلمين، ووسائل علاج هذا المرض الخبيث، وينتهي إلى دعوة العرب والمسلمين إلى ما يسميه (بالموقف الثالث) وهو الموقف الذي يأخذ من الحضارة الغربية بعض ما توصل إليه العلم والصناعة بعيداً عن الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل وصبغ الحياة بطريقة مادية، وذلك على النحو الذي بسطه المفكر المسلم (اليهودي سابقاً) (محمد أسد) في كتابه: (الطريق إلى مكة) حيث تتوافر لرؤيته التي ارتضاها الشيخ الندوي ونرتضيها معه، عوامل

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية -أبو الحسن الندوي ص٧٨ - دار القلم - الكويت .-٢١١- دار القلم - الكويت.

(٢) المرجع السابق نفسه، ونفس الصفحة.

الرصانة والاتزان والحصانة الفكرية فضلاً عن أنها تحدد بلباقة فائقة ومقدرة كبيرة -الخط العادل المتزن الذي يجب أن يسير عليه العالم العربي الإسلامي في الإفادة من الغرب وتبني الوسائل الحديثة، يقول (محمد أسد): «إن عالَمَيّ الإسلام والغرب لم يكونا يوماً أقرب أحدهما من الآخر، كما هو اليوم، وهذا القرب هو صراع ظاهر وخفي، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين والمسلمات لتتعفن رويداً رويداً، تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية، إنهم يتركون أنفسهم يبتعدون عن اعتقادهم السابق، بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب ألا يكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الإنسان الروحية، وإنهم يسقطون في وثنية (التقدم) نفسها التي تردى فيها العامل الغربي، بعد أن صغَّروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة في مكان ما من مؤخرة الأحداث.

لذلك تراهم يصغرون مقاماً ولا يكبرون، ذلك أن كل تقليد ثقافي، بخلاف الخلق والإبداع لا بد أن يحقِّر الأمة ويُقَلِّل من شأنها»[١].

«والمسلمون إذا تبنوا، كما هو من واجبهم أن يفعلوا، الطريق والوسائل الحديثة في العلوم والفنون الصناعية، لا يفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور والارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم، ولكنهم إذا تبنوا- وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك-أشكال الحياة الغربية والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدّمته لهم ثقافاتهم نفسها ومما يدلهم عليه دينهم نفسه.

ولو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقي وسيلة لا غاية في ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم فحسب، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائع»[٢].

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية -أبو الحسن الندوي ص ٢١٠ - ٢١١ - دار القلم - الكويت.
(٢) المكان السابق ص ٢١٢ .

ولقد تعددت دراسات الشيخ الندوي ضد هذه الغارة التغريبية والمادية، وهي لم تقف عند حدود كتابه العظيم: (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) بل أضاف إليها الشيخ دراساته التي نراها داخلة في صلب القضية، ومنها كتابه عن (روائع إقبال) الذي حفل بأسفار كثيرة وفصول موجهة إلى العرب، حرص الشيخ على التركيز عليها، بعد أن استخلصها من شعر محمد إقبال..

ومن هذه الدراسات أيضاً كتابه: (ردة ولا أبا بكر لها)، وهو الكتاب الذي أطلق فيه على نزعات الحضارة الأوروبية (الدين الجديد) حيث اعتبر عبادة نزعاتها الحيوانية واللادينية (ردَّة) و(ديناً جديداً) انحدر إليها كثيرٌ من المسلمين!!

ومنها كتابه (حول الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي).!!

ومن تراثه في هذا الميدان أيضاً، تحليله للصراع بين الإيمان والمادية من خلال سورة الكهف.

ومنه رسالته: (حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي)..

ورسالته حول (الأمة الإسلامية: وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل).

فكل هذه الدراسات تصبُّ مباشرةً في هذه القضية الخطيرة، فضلاً عن جهوده المبثوثة -غير المباشرة- في كتبه الأخرى.

وجزى الله الشيخ أبا الحسن الندوي عن هذا الاهتمام الكبير والتتبع الدقيق لأوضاع العالم العربي، وهذا الحرص الشديد على الأمة العربية، وعقيدتها، وحضارتها ورسالتها في مواجهة الحضارة الغربية -خير الجزاء!!.

الشيخ أبو الحسن الندوي والقومية العربية:

كان من بين ما رزأ به الاستعمار الصليبي واليهودي الأمة العربية - أن سرَّب بين بعض مثقفيها، وبخاصة الذين تتلمذوا في معاهد الغرب ومدارس التنصير، مفهوماً للقومية العربية معادياً للإسلام، يجعل من القومية عقيدةً وأيديولوجية قائمة بذاتها، وينظر للإسلام عند أحسن التقديرات على أنه مجرد رافد ثقافي، وأنه ليس هذا الدين الذي انتشل العرب من وهدة الجاهلية، وبعث فيهم الحياة التي جعلتهم خلال عقود قليلة الأمة المسيطرة على العالم عقيدةً وعلماً وأخلاقاً وسياسة..

وكان من جراء ذيوع هذا المفهوم الذي روَّج له بعض النصارى العرب الكارهون للإسلام، وبعض المسلمين المهزومين والمأجورين - أن تنحى الإسلام من مواقع القيادة الفكرية والسياسية في بعض البلاد العربية، وعلى رأسها مصر وسوريا والعراق، وما كان يسمى باليمن الجنوبي، وغيرها... بالإضافة إلى أن هذا المفهوم كان ورقة رابحة استخدمها الاستعمار الصليبي واليهودي في تجنيد العرب في الحرب العالمية الأولى ضد الخلافة العثمانية.

ومن الطريف أن قائد الجيوش العربية (القومية) كان ضابط مخابرات يهودي بريطاني (لورنس) الذي كان يعمل تحت إمرة القائد الصليبي الحاقد (اللنبي).

وفي تحليل الشيخ الندوي لحركة القومية العربية وعواقبها، يرى أنها أخطر من كل الحركات القومية التي ظهرت في العالم الإسلامي، لأن الأتراك والإيرانيين والأكراد والأفغان، كانوا جزءاً من الملة الإسلامية، ويعد انحرافهم انحراف ملة، أما العرب فلم يكونوا ملة فحسب، وإنما كانوا منبع الدعوة الإسلامية، وحملة لوائها الأولين وروادها السابقين، وكان بلدهم المنبع الأول للإسلام، ومأواه وملجأه الأخير، فكان قبولهم لدعوة القومية وانحصارهم في القالب المحدود للقومية والعروبة، أو احتضانهم لدعوة البعث العربي القومية،

بدلاً من كونهم حملة الدعوة الإسلامية العالمية، كارثة تاريخية، فإذا كان انحراف الأمم الأخرى، انحرافاً لها وحدها، كان انحراف العرب تحريفاً، لذلك فإن القلق والهم اللذين يساوران النفوس، والحذر الذي يطير النوم عن عيون المحبين للدين والعاملين له والمهتمين به، لا يُستغرب ولا يثير الدهشة والتساؤل، بل العكس، فعدم الاضطراب على هذا الحادث الأليم، يدل على عدم الشعور بضخامته وفخامة نتائجه [1].

وهو يرى – في هذا السياق- أن عدم مبالاة بعضهم بخطورة حركة القومية العربية الخائنة للإسلام، والمنفصلة عنه، تقود إلى عدم معرفة هؤلاء الناس البسطاء بحقيقة أفكار دعاة القومية العربية وبعجزهم عن إدراكها، وذلك لأن عدداً قليلاً من العلماء وحملة الدين هم الذين يتمكنون من دراسة منشورات القومية العربية الموثوق بها، وتتاح لهم فرصة السماع والقراءة للأحاديث والبيانات والتقارير الصحفية لقادة تلك الحركة وزعمائها، أما الفئة التي تكتفي بالتصفح للجرائد والمجلات الصادرة من الدول التي تعبر عن هذه الأفكار والاتجاهات، فتقتصر معرفة هذه الفئة من الناس على معلومات سطحية طافحة، وتعتمد على بيانات سياسية في أغلب الأحوال[2].

وبالتالي لا يدركون مدى خطورة الدعوة للقومية العربية، وتوغُّلها في النفوس، وتأثيرها وأبعادها، وأهدافها، وغاياتها، وإلى أي مدى سرت فيها عدوى الإلحاد واللادينية وتفاقمت، وما هي انعكاسات هذه الدعوة على قلوب الشباب والمثقفين الذي تأثروا بأهدافهم التي يعبرون عنها ويجهرون بها: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [3].

وكما يقول الكاتب الكبير الأستاذ (أنور الجندي)، فإن الأستاذ الندوي لم يهاجم شيئاً في عنف وقوة، كما هاجم الاتجاه العربي إلى القومية الضيقة

(١) الخطر الأكبر على العالم العربي – أبو الحسن الندوي – دار الصحوة للنشر – ص١٤ .
(٢) المرجع السابق ص١٥-١٦.
(٣) المرجع السابق ص١٦.

والعصبية اللا إسلامية، التي تمثلت في ذلك التيار العنيف الذي أراد أن يضرب الإسلام بالعرب، والعرب بالمسلمين، ضرباً قوياً...

- ويتساءل الشيخ الندوي: هل كان للعرب أن يمثلوا هذا الدور العظيم، وأن يشغلوا سمع الزمان، وأن يغيروا مجرى التاريخ لولا هذه الرسالة السماوية التي تسمى بالإسلام، ولولا هذا الكتاب العظيم الذي يُعرف بالقرآن، ولولا تبنّيهم لهذه الدعوة الجديدة وجهادهم في سبيلها[1] ؟!!

- ولم يتوقف أستاذنا أبو الحسن الندوي عن مقاومة هذا الاتجاه القومي اللاديني، كاشفاً زيفه في كل مكان وكل خطاب، كاشفاً - في الوقت نفسه - عن ذلك العقد الرباني الأبدي بين العرب والإسلام.. يقول: لقد عقد الله بين العرب والإسلام للأبد، وربط مصير أحدهما بالآخر، فلا عز للعرب إلا بالإسلام، ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله، وقد حرص رسول الله ﷺ على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين العرب والإسلام، فجعل جزيرة العرب مركز الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة، وحرص على سلامة هذا المركز وهدوئه وشدة تمسكه بالإسلام، لأن العاصمة يجب أن تكون بعيدة عن كل تشويش وفوضى وصراع، وظل العرب والإسلام زميلين مترافقين، وأخلص كل منهما للآخر وأقسم ألا يفارقه، وعاش العرب وعزوا بالإسلام وسادوا الدنيا، وانتشرت لغتهم وثقافتهم في بلاد وأقطار وبيئات لم تكن تنتشر فيها ويرسخ قدمها لولا الإسلام ولولا القرآن، واتخذها العلماء والأذكياء لغة دين وعلم وتأليف، ولم يكونوا فاعلين ذلك لولا أنها لغة الإسلام الرسمية، ومفتاح المكتبة الإسلامية [2].

والإنسان يعجب، ويشارك الشيخ الندوي العجب، في أمر هؤلاء القوميين العرب، الذين يريدون حصر القومية في نطاقها العنصري الضيق،

(١) أنور الجندي: أعلام القرن الرابع عشر الهجري. ج -١ أعلام الدعوة والفكر. مكتبة الأنجلو المصرية ص٤١٦، ٤١٧ .
(٢) المرجع السابق: ص٤١٨ .

ويقطعون صلتهم بالمسلمين الذين يتعبدون بالارتباط بهم، ويشعرون بالمنة نحوهم، ولا ينازعونهم القيادة إذا ملكوا مؤهلاتها، وحملوا راية الإسلام... راية عزهم ومجدهم..

ويضرب أستاذنا الندوي أمثلة رائعة تدل على هذا الارتباط العميق بالعرب، وهذا التقدير الإسلامي العام للغتهم.. لغة القرآن الكريم.. التي هي فيصل الارتباط بالعروبة المؤمنة، التي لا تقوم على الجنس بمعناه العنصري، بل على رابطة الفكر واللسان، وما يفرزانه، من عقيدة ومنهج حياة وغاية..

وفي يوليو سنة ١٩٧٨م، في كراتشي بباكستان، التقى الشيخ الندوي بالعلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي صاحب سمط اللآلئ، وأحد أعضاء لجنة تصحيح (لسان العرب لابن منظور)، فسأله الشيخ أبو الحسن: كم تحفظ من شعر العرب؟ فأجابه: أحفظ بين خمسة وسبعين ألف بيت ومئة ألف بيت.. فهل يوجد في العالم كله من يحفظ من لغة ليست لغته اليومية ولا القومية هذا القدر من الشعر.. اللهم إلا نموذج هذا المسلم العظيم الذي يرتبط بالعروبة، ثقافة وديناً...؟!!

وهل كان يمكن أن تكون اللغة العربية البدوية لغة عالمية إلا بنزول القرآن الكريم بها.. كما قرر الكاتب النصراني جورجي زيدان وغيره[١].

فما مصلحة العرب في قطع الوشائج الإسلامية، وترك هذا الرصيد الثقافي الهائل الذي يرتبط بلغتهم لارتباطها بالإسلام.

ويقدم الشيخ الندوي مثالاً آخر لهذه الدائرة الفسيحة للغة العرب وثقافتهم في ظل ارتباطها بالإسلام، فينقل عن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي المتوفى ١١٧٦هـ في رسالته التي أسماها: (المقالة الوضية في النصيحة والوصية) – قوله: «نحن

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي: نفحات الإيمان ص ٤٢ط. دار الصحوة (أولى) – ١٤٠٥ القاهرة.

رجالٌ غرباء، هاجر آباؤنا إلى الهند، وإن عربية النسب وعربية اللسان مفخرتان لنا، وهي التي تقربنا إلى سيد الأولين والآخرين، وأفضل الأنبياء والمرسلين، ومفخرة الوجود ﷺ، السعيد منا من حصلت له مشاركة في لسان العرب والصرف والنحو، وكتب الأدب، واطلع على الحديث والقرآن، ولا بد لنا من حضور الحرمين الشريفين وتعلق القلب بهما، وفي ذلك سر سعادتنا، والشقي من أعرض عنهما».

ويعلق الشيخ الندوي على هذه الوصية الطيبة قائلاً:

أين رابطة الشعوب والبلاد بلغات حكامهم، ومستعمريهم، أو باللغات التي لا يتصلون بها إلا عن طريق السياسة أو الثقافة أو الاقتصاد، من هذه الرابطة التي تقوم على العقيدة والإيمان والحب والغرام[١] ؟.

ولذلك لمّا سُمِحَ بالأذان باللغة العربية في تركيا - وكان ذلك ممنوعاً في عهد أتاتورك خرج الأتراك من بيوتهم، وبدؤوا يرقصون فرحاً، وذبحت مئات من النعاج شكراً وسروراً بأن الله مدَّ في حياتهم حتى أدركوا هذا اليوم السعيد، وسمعوا الأذان العربي في لغة نبيهم التي كان يؤذن فيها بلال، وأبو محذورة، وابن أم مكتوم، والذي كان يدوي على منابر مساجدهم قبل أن يصدر هذا الحكم القاسي السفيه.

هذا هو الرباط الذي يربط الشعوب بالعرب، وهو الذي تضمره قلوب غير العرب للعرب، وهو نابع عن شعور واحد، وهو الشعور بعظم نعمة الإسلام وضخامتها التي جاءتهم عن طريق العرب، إنهم ينظرون إليهم كحاملي رسالة الإسلام، وناقلي التعاليم الإسلامية، ينظرون إليهم كالمنقذ من الضلال، وكالمخرج من الظلمات.. ذلك الذي رفعكم أيها العرب إلى مستوى القيادة

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي: نفحات الإيمان ص ٤٣-٤٤، ط. دار الصحوة (أولى) ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م بالقاهرة.

العالمية، فهل تتخلون عن هذه المنزلة الرفيعة، وتنزلون إلى مستوى القوميات والعصبيات، والنظريات الضيقة، والقوانين التي تتغير صباح مساء[١]!!.

الشيخ أبو الحسن الندوي وقضية فلسطين:

كان موقفاً طبيعياً من داعية كبير يعيش الهموم العربية بكل كيانه، ويتفاعل معها تفاعل العربي المؤمن الملتزم، أن تكون قضية فلسطين، من القضايا الرئيسية التي يوليها الشيخ الندوي اهتمامه..

وجدير بالذكر أن تأثر مسلمي الهند بمصائب العرب، وعلى رأسهم داعية كبير كالشيخ الندوي إنما هو تأثر مباشر، في مجتمع علماني وهندوكي، يعرف الذين يعيشون فيه مدى عمق الصلة بين العرب الذين تنزّلت فيهم الرسالة السماوية الإسلامية، وبين المسلمين الهنود الذين يعيشون معهم في أرضهم، لكنهم يتجهون في كل يوم إلى مكة المكرمة، قلبِ جزيرة العرب، خمس مرات، ولا تصح صلاتهم إلا بهذا الاتجاه إلى القبلة..

ولا نشك أنه أثناء تطورات قضية فلسطين خلال النصف الثاني من القرن العشرين، كانت للشيخ الندوي متابعاته المستمرة، وجهوده الإسلامية حول فلسطين في وسط المجتمع الهندي، بل وفي البلاد العربية نفسها..

بيد أن ما يهمنا أن نشير إليه، هو أن معالجة الشيخ الندوي لقضية فلسطين كانت تقوم على الرؤية الإسلامية التي ترى في هذه الكارثة نتيجة لا سبباً، وعقاباً إلهياً للعرب الذي خانوا الإسلام، وليس أمراً ابتدائياً وقع عفواً، أو ابتلاء محضاً، أو ظلماً... ولا سيما أن الشيخ يدرك أن خطر اليهود لن يقف أبداً عند حدود فلسطين، ولا عند الشعب الفلسطيني، وإنما سيمتد إلى العرب وبلادهم كلها...

(١) المرجع السابق: ص ٤٤-٤٥ .

وإن من رأى البلاد العربية عن كثب، وشاهد تذبذب الحكومات العربية في سياستها، وضعف إرادتها وخضوعها للدول الأوروبية الكبرى وارتباطها بإشاراتها، ورأى أخلاق الرؤساء والقادة ومن بيدهم الحل والعقد، ورأى إخلادهم إلى الراحة، وإيثارهم اللذة والمنفعة، ورأى بصفة خاصة في مصر التي كانت تتزعم العالم العربي وتقود الحركة الأدبية والعلمية والدينية، عبث الأدباء والكتاب والموجهين بالأسس الدينية والقيم الخُلُقية والاجتماعية، والمقررات التاريخية وتسخيرهم طاقة الأدب والأقلام، لتقويض دعائم الحياة الصالحة والأخلاق الفاضلة، وبعث فوضى فكرية، لا معروف فيها ولا منكر، ولا حق فيها ولا باطل، وإنما هي انتهازية وأبيقورية وإقليمية وفرعونية [(١)].

ورأى إحجام العلماء وقادة الدين عن قول الحق، ونقد الباطل، والشهادة بالقسط، ورأى خضوعهم للمُثُل الزائفة التي خضع لها عبَّاد المعدات والبطون من وجوب ارتفاع مستوى المعيشة وإرضاء الأهل والأسرة، وتحقيق مطالبها ولو من غير حق، ورأى افتتان العامة والطبقات الكادحة بالملاهي والمعازف والأواني وبكل ما تتمتع به الأذن والعين والخيال، والتقاء هذه الطبقات كلها على اختلاف مستوياتها وثقافتها - على حب الحياة والكراهة للموت، وبعدها عن كل مغامرة وإقدام..

- رأى ذلك كله وتحققه وعاش فيه جزم بأن هذه الشعوب لا تستطيع أن تتحمل أقل صدمة تأتيها من الخارج، ولا تستطيع أن تدافع عن دينها وشرفها ومقدساتها وكيانها[(٢)].

ووفق هذا التحليل الذي يقوم على رؤية داخلية للوقائع، تنطلق من إيمان عميق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(٣)] ينتهي الأستاذ

---

(١) أنور الجندي - أعلام القرن الرابع عشر - ج١ أعلام الدعوة والفكر - ص ٤٢٣ .
(٢) أنور الجندي - أعلام القرن الرابع عشر - ج١ أعلام الدعوة والفكر - ص ٤٢٣.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١ .

الندوي إلى أن التخاذل في فلسطين قد مهدت له أسباب كثيرة من الأخلاق والتربية، وأن الاستعمار الغربي قد فتَّش عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين وقلوبهم، فوجد أن أكبر منابع القوة والحياة هو الإيمان فحاربوه، وسلطوا على المسلمين عدوين كانا أفتك بهم من المغول والتتار وهما: الشك، وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف والجبن منه، والثاني ما نعبر عنه بالذل النفسي، وهو أن المسلمين صاروا يشعرون بالذل والهوان، في داخل أنفسهم، وفي أعماق قلوبهم، ويزدرون كل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق، ويؤمنون بفضل الأوروبيين في كل شيء، ويعتقدون فيهم كل خير (١).

والمشكلة في حقيقتها- أن العرب لم يحاولوا -إلا قليلاً- أن يضعوا قضية فلسطين في إطارها الصحيح كقضية إسلامية تتعرض لحملة دينية يهودية، فهي عقيدة زاحفة تحتاج إلى عقيدة لصدها.. وإنما بذلوا جهوداً كبيرة في معالجتها، كقضية سياسية، تدخل في نطاق التنافسات الاستعمارية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية.. وقد كتبوا في هذا كتباً كثيرة، وخطبوا خطباً كثيرة أيضاً، وتحدثوا بإسراف وسذاجة عن (إزالة آثار العدوان) ولم يتحدثوا عن (إزالة أسباب الخذلان) معتمدين في حل قضية فلسطين من أول يوم على نفس الأساليب التقليدية التي تلقوها من عدوهم الغرب.. الذي حدد لهم المسار الذين يمشون فيه، فكل ما فعلوه كلام، وكله وقوف عند الآثار، وبعدٌ عن الجذور والأسباب..!!

وقد ظلَّت معركة الكلام حامية، ولم تقم محاولة جديّة، ولا برزت دعوة صريحة قوية إلى تغيير منهج الحياة في الشعوب والبلاد، التي اكتوت بنار هذه الخيانة الغربية الكبرى، التي لا مثيل لها في التاريخ الحديث، حتى تعرضت للخطر الصهيوني بطريق مباشر، ولا توجد دعوةٌ إلى إزالة أسباب السخط والخذلان التي بينها القرآن في أسلوبه البليغ السافر، لكسب أسباب النصر

(١) المرجع السابق ص٤٢٤.

الحقيقية التي دعا إليها الكتاب والسنة، وحفل بنتائجها وأمثلتها التاريخ الإسلامي، ولم يشعر أحد من الحكام أو جمهرة المثقفين بحاجة إلى استفتاء القرآن والعقل الإيماني الواعي المنصف، الذي لا يكذب ولا يخدع عن أسباب هذه النكبة (١).

ولا طريق لاستعادة فلسطين إلا بالإسلام.. وعندما تنتهي عوامل الهزيمة الأخلاقية والنفسية والفكرية، ويعود الإسلام إلى مكانه في نفوس المسلمين وفكرهم وسلوكهم، تنتهي تلقائياً مصادر الكارثة، بل تنتهي مصادر كل الكوارث، وتعود فلسطين إلى العرب والمسلمين.. يقول الشيخ الندوي:

«إن قضية فلسطين سهلةٌ هيّنة، وانتصار العرب مضمون إذا كانوا أحراراً في تصرفهم، مالكين لزمامهم، مدبرين لسياستهم، مغامرين بأرواحهم وجندهم، محكمين لسيفهم وسنانهم، واثقين بنصر الله، معتمدين على سواعدهم فقط، متمردين على المادة والشهوات مصممين على الكفاح والجهاد (٢).

- إن قضية إنقاذ فلسطين- كما تؤكد كتابات الأستاذ الندوي- قضية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالعقيدة، وسواء من الجانب اليهودي والصليبي أم من الجانب الإسلامي فإن جوهر المشكلة ديني بحت.. فنحن المسلمين لا بد لنا من أن نواجه الدين اليهودي الزاحف بالدين الإسلامي القوي الفعال.. إننا لسنا في حاجة إلى دين جديد -حاشا لله-، ولكننا في حاجة إلى إيمان جديد، إذا كانت الأحوال غير عادية احتاج الإنسان فيها إلى إيمان غير عادي، إلى إيمان قوي عميق إلى إيمان حي دافق، إلى إيمان إذا لم يكن إيمان الصحابة رضي الله عنهم فليكن إيمان صلاح الدين الأيوبي، وإيمان كثير من الجنود الذين قاتلوا تحت رايته، يقول القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد عن صاحبه صلاح الدين الأيوبي: «إنه تاب عن المحرمات وترك الملذات، ورأى أن الله سبحانه وتعالى خلقه لأمر

(١) أنور الجندي - أعلام القرن الرابع عشر - ج١ - ص ٤٢٦ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

عظيم لا يتفق معه اللهو والترف، وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال، وكان كالفاقدة ولدها، الثاكلة واحدها» [١].

إن هذا هو الطريق الصحيح -والوحيد- لاستعادة فلسطين.

وكما عاش العرب مائتي سنة تحت الاحتلال الصليبي دون أدنى أمل لطرده عندما استولى على الرّها، وإنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس.. حتى ظهر الأبطال المؤمنون الأتقياء الصالحون: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين الأيوبي، فكذلك لن تتحرر فلسطين بالقيادات المنافقة التي تعطي الإسلام بعض الكلام، في بعض المناسبات، ولكن عقلها وقلبها يدور في فلك الأعداء، وربما يثق بعضهم في قدرة أمريكا وإسرائيل أكثر مما يثق في قدرة الله...!!!

وإذا كان نصف القرن الماضي قد أثبت فشل كل التجارب، وأعطى إسرائيل دفعة هائلة، بحيث أصبحت قوة عظمى، ترتعد فرائص الحكام العرب أمام جبروتها وطغيانها..

فلقد آن الأوان لنستجيب لذلك المنهج العظيم الذي أشار إليه الشيخ أبو الحسن.. أن نستفتي الإسلام.. ونستوعب درس التاريخ، ونثق في الله، وفي ديننا، وفي حضارتنا ورسالتنا..

ويومها ستعود فلسطين.. بإذن الله، كما أكّد الشيخ الندوي، وكما يؤكد لنا -من قبله- وعد الله الذي لا يخلف الميعاد!!.

الشيخ الندوي وأزمة الخليج:

بينما كان العالم الإسلامي يعيش فترة هدوء، وترقب على مشارف العقد الأخير من القرن العشرين، وبينما كان الشيخ أبو الحسن الندوي يقوم بجهود

(١) النوادر السلطانية ص ١٥٥ - نقلاً عن الشيخ أبي الحسن الندوي - نفحات الإيمان ص٨٠ .

طيبة توشك على الوصول إلى النجاح في داخل شبه القارة الهندية، لتحجيم حركات التطرف الهندوكي التي تسعى لإزالة الوجود الإسلامي في الهند..

بينما ذلك -وقع، وعلى غير توقع، ذلك الحادث المروع، الذي تمثل في هجوم الرئيس العراقي صدام حسين على الكويت، مجهضاً كل محاولات وحدة الصف العربي، وناقضاً كل كلماته الكبيرة عن الأخوة العربية والتضامن العربي، وعاقاً لكل الأيادي التي قدّمت إليه في مغامراته العسكرية الإجرامية، وغادراً بكل وعوده القومية والبعثية الزائفة.

وبينما كان الشيخ الندوي يطوي أوراق اجتماع ناجح مع بعض عقلاء الهندوس ومفكريهم للالتقاء حول (قضية مشتركة) تسمى (رسالة الإنسانية) تحترم حقوق المسلمين، وكل الأقليات الأخرى، وتزيل الأحقاد والعصبيات.. وظهرت لهذا اللقاء آثار طيبة في طول الهند وعرضها.. بينما يقوم الشيخ بهذه الجهود الناجحة فوجئ العالم الإسلامي المقهور بالهجوم على الكويت في الثاني من آب/ أغسطس ١٩٩٠م... فإذا بمسلمي الهند، وإذا بالشيخ الندوي، وإذا بالدعاة والمسلمين جميعاً.. تنكّس رؤوسهم داخل الهند وخارجها... وإذا بالأمة كلها تشعر بأنها في مأتم، من جراء هذه الفعلة الغادرة الشنعاء.. ولا تدري ماذا تفعل مع غادر جبار لا يعرف الحوار، ولا يحكمه دين ولا خلق.. ويصور الشيخ الندوي هذا الوضع وعواقبه قائلاً:

«وإني كدارس متواضع للتاريخ الإسلامي، ومؤلف فيه، لا أذكر أن المسلمين من حيث الملة أصيبوا بمثل هذه الصدمة العنيفة التي أدت إلى خجل وذلة ومهانة منذ قرون عديدة، وتزيد هذه المأساة شدة ووطأة، أنها وقعت في منطقة عربية مجاورة للمنطقة التي كان منها الإشعاع الأول لاحترام الإنسان والعدل والإحسان، وجزاء الإحسان الإحسان والكرامة، ونجدة المظلوم والضعيف» [1].

---

(١) المأساة الأخيرة في العالم العربي - أبو الحسن الندوي - ندوة العلماء لكهنؤ - الهند ص ٧ .

وكعادته يحلل الشيخ الندوي الحدث الخطر من جوانبه الدينية والخلقية والمبدئية، ويسميه (المأساة الأخيرة في العالم العربي)، ويعزو خطورته إلى عدد من الأسباب تتلخص في رأيه في العوامل التالية:

١- إن غزو بلد كبير كالعراق لبلد صغير كالكويت يقدم مثالاً سيئاً لا يتطابق مع التعاليم الإسلامية الخلقية، والتقاليد الإسلامية فحسب، بل إنه يتنافى مع الضمير الإنساني، ومبادئ الأخلاق العامة.

٢- وقد تعاقبت بعد غزو العراق للكويت واستيلائه عليها الأعمال والتصرفات الشنيعة والمخزية التي لا يوجد لها نظير إلا في تاريخ الغزاة والفاتحين الجبابرة المستبدين في تاريخ الحروب.

٣- ثم إن القائد العراقي الرئيس صدام حسين قام بنسخ كل ما سجله من انتصارات خلال حربه مع إيران بالصلح مع إيران، على شروط إيران، من طرف واحد.

٤- كان الرئيس صدام يعقد به الأمل في بعض الأوساط المتفائلة أنه قد يكون مؤهلاً لملء الفجوة التي كانت تُلمس في قيادة العالم العربي أو يوفقه الله تعالى للاجتهاد من أجل توحيد الصفوف لمواجهة إسرائيل.

- ولكن خابت هذه الآمال والتطلعات، ولم تلبث هذه الأماني حين انقلب هذا البطل المغوار على إخوته وأشقائه وفتح جبهة جديدة داخل البلاد العربية.

٥- إن غزو العراق للكويت، وعدم إصغائه إلى نداء القادة العرب والمسلمين وعدم إنصاته لنصيحتهم وتماديه في موقفه، وتغاضيه عن جميع المخاطر التي تترتب من مثل هذا الموقف الطائش، قد أثارت شبهات ومخاوف بأن يسوقه طمعه أو طموحه -لا قدر الله- إلى التعرض للجزيرة العربية وبالأخص المملكة العربية السعودية التي تتولى خدمة الحرمين الشريفين وحفظها وصيانتها، والاحتفاظ بقداستها [(١)].

(١) المأساة الأخيرة في العالم العربي – أبو الحسن الندوي – ندوة العلماء لكهنؤ – الهند ص ٨ – ١٢ .

ولا ينسى الشيخ أن يربط هذه المأساة بخروج العرب عن رسالة الإسلام، وبالقومية العربية الإسلامية التي هيمنت على حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي يقوده في العراق (ميشيل عفلق)- فكراً وصدام سلوكاً.. إنها -مثل نكبة ١٩٦٧م، ومثل ضياع فلسطين، ثمرة من الثمرات المُرّة التي يجنيها العرب من خيانتهم للإسلام وسلبيتهم في مواجهة القيادات الحزبية والفردية الملحدة..

ولقد بلغ الهم من الشيخ الندوي كل مبلغ، وهو يعيش الأيام الكالحة التالية للغزو..

إن عاطفته نحو العرب والمسلمين، وما كان يأمله في اقتراب العرب -بالصحوة الإسلامية- من يوم العودة إلى منهج الله الذي يكفل لهم استئناف قيادتهم لسفينة الحضارة... كل ذلك قد جعله يعيش أياماً عصيبة، ويعاني من هم كبير إلى حد لا يذكر معه أنه تأثر هذا التأثر قبل حدوث هذه الفاجعة... ولا يفوت الشيخ أبا الحسن - في هذا المقام- أن يعزو ما أصابه من همٍّ وحزن وقلق إلى حبه للعرب وانتمائه لهم:

«لقد أقلق هذا الحادث ذهني وفكري، وأقضّ مضجعي إلى حد لا أنكر أني تأثرت مثله قبل حدوث هذه الفاجعة في حياتي، لأني -وذلك فضل الله وتقدير العزيز العليم- منذ أن تطورت في القدرة على الكتابة، والخطابة، والدراسة، كرست ما كنت أملكه من قدرة محدودة للتعبير، وما توفر لي من وقت، على قضايا العالم العربي، وكانت الأمة العربية والدول العربية مجال عملي وشغلي الشاغل وموضوع دراستي، وكانت معظم مؤلفاتي وكتاباتي باللغة العربية أصالة، ثم نقلت هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى، وأستعير هنا ما قاله شاعر الإسلام «محمد إقبال» تحدثاً بالنعمة، وتعبيراً عن حقيقة الحال:

«إن كان مزماري عجمياً، فإن ألحانه عربية ونغمي عربي» (١).

(١) المأساة الأخيرة في العالم العربي - أبو الحسن الندوي - ص١٦-١٧ .

- لقد لخص لنا الشيخ في هذا المقام وفي هذه المأساة - حقيقة انتمائه للعرب... إنه انتماء أصيل عميق... إنه ليس تعاطفاً.. أو غيرةً إسلامية تقف عند حدود فرض الكفاية... إنه جزءٌ من تكوينه وجبلته.. إنه فرض عين...

ولئن كان بعض العرب في البلاد العربية يعيش هموم العرب - في دائرته الفردية، وفي حدود مصلحته الشخصية، وفي إطار الحفاظ على كيانه الاجتماعي والاقتصادي.. فإنَّ الشيخ أبا الحسن - كما يلمس القارئ لكلماته- مستعدٌّ للتضحية في سبيل عودة العرب إلى رسالتهم وقضية وجودهم بكل دمه وماله ومكانته...

- إن ذلك واضح جلي في كلماته.. فكلماته كلمات محبٍّ مستعد لبذل كل شيء في سبيل محبوبه وعاشقه.. وليس في كلماته أي أثر للصنعة أو التكلف..

- لقد خاصم الشيخ على كره منه- كثيراً من القيادات العربية.

- وقد منع الشيخ من دخول كثير من البلاد العربية، لمجرد إخلاصه وصراحته في تقديم النصيحة..

- وقد أساءت به الظن بعض القيادات التي لم تستطع أن ترتفع إلى مستوى إدراك أنه يعمل لمجد بلادها، وإلى إدراك أن صديقك من صَدَقَكَ لا من صَدَّقَكَ!!.

- وانطلاقاً من تلك الروابط الكبيرة بين الشيخ الندوي والعرب.. ومن شعوره بعمق مأساة الخليج، ودور القومية العربية اللادينية الهدام فيها- انطلاقاً من كل ذلك كان موقفه من مأساة الخليج!!.

الشيخ أبو الحسن الندوي، ومحاولات التفاعل مع القادة والمفكرين العرب:

على الرغم من أن أكثر الحكام العرب لم يألفوا مراسلة الدعاة أو تلقي النصائح منهم، فقد أتيح للشيخ أبي الحسن الندوي، بأسلوبه الحكيم، أن ينصح كثيراً منهم، سواء بطريقة الالتقاء بهم مباشرة، أم بطريقة الكتابة إليهم..

- وقد تبادل الشيخ الرسائل مع عدد من الحكام والوزراء العرب، على رأسهم الملك فيصل بن عبد العزيز، والملك خالد بن عبد العزيز -رحمهما الله- والملك فهد بن عبد العزيز، والأمير عبد الكريم الخطابي، وسمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن آل سعود، والأمير الحسن بن طلال، والشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ..

- أما مراسلته للمفكرين، والمثقفين العرب، فهي كثيرة، وموصولة، ومن أهم من راسلهم الشيخ أبو الحسن: الشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ محمد بهجت الأثري، والشيخ عبد الله بن علي المحمود، والشيخ أحمد عبد العزيز المبارك، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ البهي الخولي، والدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ سيد قطب، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ علي الطنطاوي، والأستاذ محمد أسد، والأستاذ محمود محمد شاكر، والأستاذ أنور الجندي، والأستاذ أبو بكر القادري. وغيرهم[١].

وكان لبعض الحركات الإسلامية المشهورة في البلاد العربية نصيبها من حوارات الشيخ ونصائحه..

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي : رسائل الأعلام. ص ١٨٣ طبع دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥ وانظر صفحات الكتاب كله.

وكما كان يحرص على أن تكون (الدعوة) مناط أحاديثه مع الرؤساء، والمفكرين فكذلك، كان محور (الدعوة) مناط تركيزه في حواراته مع الحركات الإسلامية..

إن الشيخ يرى - وقد ذكر ذلك بوضوح في خطابه لأقطاب هذه الحركات - أن الدعوة هي البذرة، وأن الوصول إلى التمكين السياسي في الأرض هو الثمرة، وأن الاهتمام يجب أن يتجه إلى البذرة، ويُتْرَك أمر الثمرة لله سبحانه يمنحها عندما تتوافر الأهلية، وتتحقق الشروط..

أما التركيز على الثمرة (أي الحكم والسياسية) دون السير في الطريق الطبيعي للأشياء، وهو الاهتمام ببذرة الإيمان، وبالتربية الفكرية والنفسية والدعوية والوجدانية، فهو قلب للأشياء، ووضع للعربة أمام الحصان، وهو منافسة ضمنية لأهل الدنيا، ذلك لأنه ليس من مصلحة الدعوة أن يعمل على أن يكون هو نفسه أو حزبه حاكماً لكي يطبق الإسلام... فدون ذلك أهوال كثيرة، بل من واجبه أن يعمل على أن يكون الحكام مسلمين حقيقيين، وأن يصل الحاكم المسلم إلى الحكم، من أي طريق فالمهم أن يصل الدين.. فذلك أدعى إلى تجاوز الشبهات والصراعات وصور العنف المعروفة..

وفي سنة ١٩٥١م زار الشيخ أبو الحسن الندوي مصر، وكانت حُبْلى بالأحداث، فأتيح له أن يتكلم في جمع كريم من أبناء الحركة الإسلامية.. وكان مما خاطبهم به قوله: «إن العالم العربي الذي تعيشون فيه أضعف أعضاء جسم العالم الإسلامي» (١).

وفي ظل هذا الواقع المريض، يرى الشيخ الندوي، أن التركيز على العلاج الدعوي، والتربوي آكد وآصل، وأعمق في التأثير الحضاري، بدل القفز إلى العمل السياسي وإتاحة الفرصة لزعماء الانقلابات العسكرية لإجهاض العمل

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي: أريد أن أتحدث إلى الإخوان ص ١٨. ط لكهنؤ.

الإسلامي في مراحله المبكرة.. ذلك لأنهم مستعدون لتدمير كل شيء إذا تعارض ذلك مع مصالحهم ومقاعدهم الرئاسية..

وفي أسلوب حكيم يترجم عن ودٍّ عميق، وشعور أخوي صادق، يُلْفتُ الشيخ الندوي نظر أقطاب هذه الحركات الإسلامية إلى منهجه الدعوي الذي ينصحهم به. فيقول لهم:

«لقد امتازت دعوة الأنبياء وجهودهم بتجردها من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة، فكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم إلا وجه الله، وامتثال أوامره وتأدية رسالته، تجردت عقولهم وأفكارهم من العمل للدنيا ونيل الجاه وكسب القوة لأسرتهم أو أتباعهم والحصول على الحكومة، حتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم وأتباعهم، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها، والقوة التي حصلت لهم في دورها، لم تكن إلا جائزة من الله ووسيلة للوصول إلى أهداف الدين، وتنفيذ أحكامه، وتغيير المجتمع، وتوجيه الحياة كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، ولم تكن هذه الحكومة قط غاية من غاياتهم، أو هدفاً من أهدافهم، أو حديثاً من أحاديثهم، أو حلماً من أحلامهم، إنما كانت نتيجة طبيعة للدعوة والجهاد كالثمرة التي هي نتيجة طبيعية لنمو الشجرة وقوة إثمارها»[2].

ثم يتوجه الشيخ الندوي بعد هذا النصح العلمي غير المباشر إلى أقطاب الحركة الإسلامية بطريقة مباشرة، قائلاً لهم:

«فكذلك الدعوة الإسلامية التي تكلفتم بها، والجهاد الذي أخذتموه على عواتقكم يفرض عليكم إنشاء جيل جديد للإسلام: جديد في قوة إيمانه،

(١) سورة الحج، الآية: ٤١ .

(٢) الشيخ -أبو الحسن الندوي: أريد أن أتحدث إلى الإخوان ص ٣١-٣٢. ط لكهنؤ.

جديد في حماسته وثقته، جديد في أخلاقه، جديد في تفكيره وعقليّته، جديد في كفاءته العلمية واستعداده العقلي، وإن نجاحكم في هذا الإنتاج البشري مقياس نجاحكم في مهمتكم ودعوتكم» [١].

«إنكم أمام أنقاض عقلية، وركام بشري، وخامات مهملة تبنون بها بيتاً جديداً، وتصنعون بها سفينة جديدة، تمخر عباب الحوادث والموانع، إنكم ستبدؤون في عمل جديد، وجهاد جديد، يستغرق منكم وقتاً طويلاً ويستنفد جهوداً عظيمة» [٢].

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٥-٤٦.

(٢) المصدر السابق : ص٤٧ .

و بعد:

فلقد عاش الشيخ أبو الحسن الندوي قضايا العالم العربي، في مستوياتها المختلفة، الفكرية والسياسية والدعوية.. عاشها وهو يتألم لواقعها الأسيف، ويرصده رصد الخبير به، ويُظهر انحرافاته نحو الشرق المادي الشيوعي والغرب المادي العلماني. وعاشها وهو يرصد الانحراف الشائن نحو القومية العربية بمعناها اللاديني، وكيف نجح الاستعمار الصليبي والضغط اليهودي في تمكين الأحزاب القومية (البعثية والعلمانية) من الوصول إلى الحكم وتوجيه التربية والإعلام والثقافة في الاتجاه المدمر..

وبذل الشيخ جهوداً مضنية ليفيق العرب من هذا التيه ويكتشفوا ذاتهم، ويدركوا أنهم طليعة المسلمين، وأنهم مبتعثون، وأنهم أرقى حضارياً من خصومهم، وأنهم الأمل في إنقاذ الحضارة الإنسانية..

وتألم الشيخ كما يتألم الوالد والمربي اللذان لم يُستجَب لهما.. وخُولفا.. بل وعوملا بعقوق.. لكنهما مع ذلك لم يستطيعا -ولا يستطيعان- التخلص من عاطفتهما ورسالتهما في الشدائد والمحن.. فعاش الشيخ مأساة فلسطين، بقلب عربي وعقل مسلم.. وعاش أزمة الخليج، كما يعيش الإنسان مأساة حقيقية..

وكان الإسلام في عقله وقلبه يضيء له الطريق، فيضيء به للتائهين من حكام العرب ومثقفيهم الطريق، ويصف به الدواء والعلاج.. فلعل المارد العربي النائم يفيق..

لم ييأس الشيخ من غفلة العرب، ولا من لهوهم وترفهم، ولا تشرذمهم، واستعلائهم، وخيانة بعضهم للإسلام، بل ظلَّ -أطال الله عمره- يواصل العطاء ويتعلق بكل أمل، ويكتب في كل يوم... مخاطباً كل بلد عربي، ومعالجاً كل أزمة عربية.. ومتفاعلاً مع كل حدث بما يلائمه..!!

وقد حاولت أن أكتب في هذه الصفحات الوجيزة -عن موقف الشيخ أبي الحسن من قضايا العالم العربي.. لكن الشيخ -جزاه الله خيراً- أبى ذلك عليَّ، بغزير فكره، وروائع بيانه.. فكانت نصوصه الرائعة تطغى على فكري، وترغم عقلي على أن يترك المجال لها.. ليكتب الشيخ موقفه بنفسه.. وليتضاءل -بالتالي- دوري..!!

إنني أشعر أنني فسرت الماء بالماء، ووصفت الشمس بالشمس.. لكنني.. مع ضيق الوقت وقلة الزاد -بذلت جهدي.. حباً وإكباراً.. وذلك حسبي..

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب!!.

د. عبد الحليم عويس

القاهرة في الثاني والعشرين من

صفر ١٤١٧ هـ - الثامن من يوليو (تموز) ١٩٩٦م